

مجلة العلوم وفاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

تجليات الشعر ووظائفه في المقامة العربية الحديثة، مقامات اليازجي أنموذجا.

**Manifestations of poetry and its functions in the modern Arabic Maqama,
Maqamat al-Yaziji as a model.**

إسماعيل المرڪعي*

<https://orcid.org/0009-0003-9935-5222>

الإكاديمية الجهوية لمهن التربية والتعليم، (المغرب)، ismail.elmarkaiz@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/04/01

تاريخ القبول: 2022/01/13

تاريخ ارسال المقال: 2022/12/11

*إسماعيل المرڪعي

الملخص:

يعالج هذا المقال قضية حضور الشعر في المقامة العربية الحديثة، ويحاول إبراز تجلياته في نصوص مقامات الأديب اللبناني ناصيف اليازجي، التي لا تخلو من التوظيفات الشعرية. كما يحاول أن يكشف عن الوظائف التي يؤديها الشعر داخل جنس المقامة، فاستحضار النصوص الشعرية من قبل اليازجي تجاوز إضفاء طابع التخيل والإمتاع إلى طابع التداول والإقناع، فكان الهدف من إيراد هذا الشعر هدفاً إصلاحياً وتعليمياً، خاصة وأن المجتمع العربي كان يعيش في ظل التلاقح الثقافي مع المجتمع الغربي.

الكلمات المفتاحية: المقامة، الشعر، الوظيفة.

Abstract :

This article deals with the issue of the presence of poetry in the modern Arabic maqama, and attempts to highlight its manifestations in the maqamat texts of the Lebanese writer Nassif al-Yazji, which are not devoid of poetic employment. It also attempts to reveal the functions performed by poetry within the maqama genre, so that al-Yazji's evocation of poetic texts went beyond the imagination and entertainment of the deliberative and persuasive character of Western society.

Keywords Maqamah; poetry; role; Nassif al-Yazji; maqamat

مقدمة:

نالت المقامة قدراً واسعاً من الشهرة والانتشار قديماً وحديثاً، حيث شكلت نمطاً من الكتابة عند مجموعة من الأدباء، الذين حاولوا عبرها تناول موضوعات شتى، محاولين المزج بين جنسي النثر والشعر؛ وسنقف هنا على حضور هذا الأخير في المقامات الحديثة عند اللبناني ناصيف اليازجي في كتابه الموسوم بـ " مجمع البحرين"، وذلك بإبراز تجليات الشعر المبتوث في نصوص مقاماته، والكشف عن الوظائف التي يؤديها داخل المقامة، باعتباره عنصراً مكملاً للعملية السردية، يساهم في نمو الأحداث وتطورها دون الإخلال بالجنس العام الذي يوظف نصوص المقامة العربية والمتمثل في جنس النثر.

المبحث الأول: تجليات الشعر في مقامات اليازجي

لابد من أن نشير، في البداية، إلى بعض الآثار الإبداعية التي خلفها اليازجي في مجال الشعر¹؛ فقد ألف الرجل مجموعة من الدواوين الشعرية،² منها (نبذة من ديوان الشيخ ناصيف اليازجي)، و(نفحة الريحان وثالث القمرين).

وبالعودة للشعر الموثوث في "مجمع البحرين"، نجد اليازجي سار على نفس منوال الشعراء القدامى من حيث شكل القصيدة، باعتماد نظام الشطرين والقافية الموحدة في نظم شعره. وهو دائما ما يورد أبياتا من الشعر، سواء كانت قليلة أو كثيرة قد تصل إلى قصيدة كاملة في بعض الأحيان.

ويتتبع النماذج الشعرية الواردة في كتاب "مجمع البحرين"، نجدها من نظم اليازجي نفسه، دون أن يستحضر شعر الشعراء الآخرين بمختلف عصورهم؛ نظرا لمكانته بين شعراء عصره؛ فهذا الأمير الشهباني بشير الكبير جعله من أقرب الشعراء عنده " فإنه قَرَّب الشعراء والكتّاب، وأجازهم. وكانت المناظرات بينهم تجري بين حضرته، فتستحث قرائحهم للنظم والنثر. ومن شعرائه بطرس كرامة، ونقولا الترك، والشيخ ناصيف اليازجي"³. فدائما ما كان هو نفسه الشاعر في مقاماته، بحيث كان يورد من شعره ما يجده ملائما للسياق المقامي، ومناسبا لموضوع المقامة، على لسان البطل ميمون بن خزام، الذي يبدع تحفا بلاغية في قالب شعري، أو على لسان ابنته ليلي وغلامه رجب. كقوله في "المقامة الحلبية" مثلا:

يا هل تُرى أَيْنَ سَهَيْلٍ يَطْلُعُ؟	يا لَيْتَهُ كَانَ يَرى وَيَسْمَعُ!
يَرى الْفَتَى مُهْرُولًا يَنْدَفِعُ	تَكَادُ تَدْرِيهِ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
أَعْطَانِي الْبُرْدُونَ وَهُوَ يَطْمَعُ	فِي وَصْلِ لَيْلِي، لَا هِنَاهُ الْمَضْجَعُ!
سَبَقْتُهُ عَلَيْهِ فَهُوَ أَسْرَعُ	لَكِنَّهُ بِالْمَاءِ لَيْسَ يَقْنَعُ
فَقُمْتُ أَبْتَغِي لَهُ مَا يَشْبَعُ	لَكِنْ بِدُونِ الْمَالِ مَاذَا أَصْنَعُ؟
وَإِنْ يَكُنْ نَالَ الْفَتَى مَا يَجْزَعُ	مِنْهُ فَقَدْ نَالَ بِهِ مَا يَزْدَعُ

وَالنُّصْحُ مِنْ وَصْلِ الْبَنَاتِ أَنْقَعُ⁴

فهذه الأبيات الشعرية من نظم الشيخ اليازجي نفسه؛ فيدل هذا على قدرته على نظم الشعر؛ فهو بذلك يرسم صورة اليازجي الشاعر في مقاماته.

حظي الشعر بحيز مهم في كتاب "مجمع البحرين"؛ حيث يكثر اليازجي من التوظيف الشعري تعبيرا عن موضوع

المقامة؛ حيث دائما ما يلجأ إليه كتقنية ضرورية لسرد أحداث المقامة ونموّ وقائعها؛ فنجده يختار من الشعر ما يناسب سياق حديثه، وموضوع مقامته. وهذا الشعر كلّه يأتي في وسط المقامة؛ كما ستوضح هذه الأمثلة: يقول في المقامة "البدوية":

إِنِّي مِمْمُونُ بَنِي الْخِزَامِ وَهَذِهِ لَيْلِي ابْنَتِي أَمَامِي
نَعَمْ وَهَذَا رَجَبٌ غُلَامِي مَنْ رَامَ أَنْ يَدْخُلَ فِي ذِمَامِي
يَأْمَنُ مِنْ بَوَائِقِ الْأَيَّامِ 5

إذ يقف اليازجي؛ من خلال هذه الأبيات، عند التعرف على بعض شخصيات مقامته، ثم يتم حديثه بقوله:

أَنَا الْخِزَامِيُّ سَلِيلُ الْعَرَبِ أَذْهَبُ بَيْنَ النَّاسِ كُلِّ مَذْهَبِ
وَأُبْسُ الْجَدِّ ثِيَابَ اللَّعِبِ وَأَسْتَقِي مِنْ كُلِّ بَرَقِ حُلْبِ
وَأَتَّقِي بِاللُّطْفِ كُلَّ مِحْلَبِ وَالْتَقِي الرُّمَحَ بِلَدْنِ الْقَصَبِ
وَلَا أَبَالِي بِالْفُتَى الْمُجَرَّبِ لَوْ أَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعْدِي كَرِبِ
عَلَيَّ دِرْعٌ مِنْ نَسِيحِ الْأَدَبِ تَكِلُ عَنْهَا مَاضِيَاتُ الْفُضْبِ
وَلِي لِسَانٌ مِنْ بَقَايَا الْحَقَبِ يَفْنِصُ بِالْمَكْرِ أُسُودَ الْهَضْبِ
وَالصِّدْقُ، إِنَّ أَلْقَاكَ تَحْتَ الْعَطَبِ لَا خَيْرَ فِيهِ فَاعْتَصِمِ بِالْكَذِبِ

بِمِثْلِ هَذَا كَانَ يوصيني أبي 6

ففي هذه الأبيات يبرز اليازجي خصال الخزامي، الذي ينتمي إلى أهل البدو؛ الذين يعرفون بصفات كثيرة، أبرزها؛ إكرام الضيف، والاطمئنان من نواب الدهر وصورفها. كما تكشف أيضا عن بعض الصفات التي يميز العرب؛ كالاتخار بالنفس والاعتزاز بها، والتحلي بمكارم الأخلاق، وتبرز كذلك بعض المحاسن التي يتفرد العرب بها عن غيرهم كالجدّ واللفظ والأدب والصدق.

ويقول في "المقامة الكوفية":

أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلِ بِهِ إِلَى اللَّهِ الْعِبَادُ وَاصِلُهُ
فَاخْرُصْ عَلَيْهِ وَالتَّقِطْ مَسَائِلَهُ وَدَعْ كُنُوزَ الْمَالِ فَهِيَ بَاطِلُهُ
وَلَا تَبِعْ آجِلَةً بِعَاجِلِهِ وَلَا تُضِعْ وَاصِلَةً بِحَاصِلِهِ
وَاعْرِضْ عَنِ اللَّيْلَةِ نَحْوِ الْقَابِلِهِ فَذَاكَ مَشْرِبُ الثَّقَاتِ الْكَامِلِهِ
وَلَيْسَ خَيْرٌ فِي النَّفُوسِ الْعَاقِلِهِ إِنَّ غَفَلْتَ عَنِ الْقُلُوبِ الْغَافِلِهِ

وَالنَّاسُ إِنْ كَانَتْ طَعَامًا جَاهِلَهُ فَمَا يَكُونُ الْفُرْقُ يَا ابْنَ الْفَاعِلِ
بَيْنَ الرِّجَالِ وَبِغَالِ الْقَافِلَةِ؟⁷

يدرك اليازجي في قيادة الناس، لذلك حاول أن يبرز في هذه الأبيات أهمية العلم، ويحث الناس على طلبه؛ فهو تنوير للعقول، وخمود للجهل. ويدعو بذلك إلى جعل العلم في مرتبة سامية لا تقارن بمال ولا جاه، فحاجة الناس إلى العلم لنشر الخير والسلام.

يقول في المقامة "المصرية":

قَدْ صَدَقَ الْعُلَامُ فِي مَا يَدَّعِي، فَإِنَّهُ مُذْ أَشْهَرُ لَمْ يَشْبَعِ!
مُزَقَّلًا فِي السَّمَلِ الْمُرْقَعِ، مُوسَّدٌ فَوْقَ الْحَصَى وَالْيَرْمَعِ
بِيئْتُ طَوْلَ لَيْلِهِ لَمْ يَهْجَعِ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ مَوْجَعِ
لَكِنِّي شَيْخٌ شَدِيدُ الرَّمَعِ، إِذَا نَهَضْتُ بُكْرَةً مِنْ مَضْجَعِي،
أَمْشِي كَمَا تَمْشِي ذَوَاتُ الْأَرْبَعِ! قَدْ بَعْتُ حَتَّى إِنِّي لَمْ أَدْعِ
سِوَاهُ عِنْدِي مِنْ جَمِيعِ السِّلَعِ، فَصِرْتُ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ الْمُرْضَعِ
لَا زَادَ فِي بَيْتِي وَلَا مَالٌ مَعِي، فَإِنْ أَرَدْتُ بَيْعَهُ لَمْ يَقْعِ
لِي فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ مِنْ مَطْمَعِ، فَهُوَ أَنْيْسِي فِي الْخَلَاءِ الْبَلْقَعِ!
وَسَنَدِي فِي عَثْرَةٍ أَوْ مَصْرَعِ، أَرَاهُ فِي حَدِيثِهِ كَالْأَصْمَعِي
وَفِي الدَّهَاءِ كَقَصِيرِ الْأَجْدَعِ، وَفِي الْمَضَاءِ مِثْلَ سَيْفِ ثُبَّعِ
يَقُومُ بِالْأَمْرِ قِيَامَ الْمُسْرَعِ، وَهُوَ إِذَا وَلَّى قَرِيبَ الْمَرْجَعِ
وَيَحْفَظُ الْوَدَّ بِلا تَصْنُوعِ، كَحِفْظِهِ سَرَائِرَ الْمُسْتَوْدَعِ

فَانظُرْ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَاسْمَعِ⁸

فهي قصيدة يصور فيها اليازجي حالة بطله ميمون بن خزام وغلومه رجب، وما آلت إليه بسبب الفقر والجوع والاحتياج. كما يعرض من خلالها صفات الغلام الكثيرة؛ كالذكاء والدهاء والقوة والشجاعة والسرعة في تنفيذ الأوامر وحفظ الود.

تكشف التوظيفات الشعرية في مقامات اليازجي قدرته على تضمين شعره، واستخدامه كبنية مكملة لسرد أحداث المقامة وتطورها. وهو في الغالب ما يأتي بالنصوص الشعرية في وسط المقامة كتقنية سردية يكسرها الملل الذي قد يلحقه النثر في نفوس المتلقي بسبب طولها وكثرتها.

المبحث الثاني: وظائف الشعر عند اليازجي

ظهر الشعر عند اليازجي، في كثير من المواقع، لغرض وعظي، يروم النصح والإرشاد والإيحاء؛ مما جعل لهذا الشعر وظيفة وعظمية، تهدي الإنسان إلى اتباع الحق، وسلك طريق الإصلاح والرشاد. إذ يقول:

واهاً لِمَنْ خَافَ الْإِلَٰهَ وَاتَّقَى
وَعَافَ مُشْتَرَى الضلال بِالهُدَى
وَوَظَلَ يَنْهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى
إِنَّ إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
نَعَمْ! وَإِنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى طَيْفٍ كَرَى
فَانتَبِهُوا يَا غَافِلِينَ لِلسُّرَى!
وَشَبِّروا الدَّيْلَ وَبادِرُوا الْوَحَى
مِنْ قَبْلُ أَنْ يَدْعَوْكُمْ دَاعِيَ الرَّدَى
وَاطْرَحُوا كُلَّ نَعِيمٍ وَغِنَى
وَاسْتَهْدِفُوا لَوَقْعِ أَسْهُمِ الْبِلَى
وَأَقْرِضُوا اللَّهَ فَنِعْمَ مَنْ وَفَى
مَا أَجْهَلَ النَّاسَ وَأَذْهَلَ التُّهَى
لَوْ أَنَّ هَذَا الْمَالَ فِي هَذَا الْوَرَى
قَالَ: أَلَسْتُ رَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى 9

نحس، ونحن نقرأ هذه الآيات من الشعر، أننا أمام قبس من القرآن الكريم، وإن بشكل تضميني، ومضمونها الحث على مكارم الأخلاق، والإعداد ليوم تخشع فيه الأبصار، حين لا ينفع لا جاه ولا مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ويقول:

أَلْعَلُّمٌ حَيْرٌ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ
وَأَعْرَضٌ عَنِ اللَّيْلَةِ نَحْوِ الْفَائِلَةِ
فَأَحْرَضَ عَلَيْهِ وَالتَّقِطُ مَسَائِلِهِ
وَلَا تَبِعَ آجِلَةً بِعَاجِلِهِ
وَدَعَى كُنُوزَ الْمَالِ فَهِيَ بَاطِلُهُ
وَلَا تُضِعْ وَاصِلَةً بِحَاصِلِهِ
وَلَيْسَ حَيْرٌ فِي النَّفُوسِ الْعَاقِلَةِ
فَذَاكَ مَشْرَبُ الثُّغَاتِ الْكَامِلَةِ
وَالنَّاسُ إِنْ كَانَتْ طَعَامًا جَاهِلُهُ
إِنْ عَفَلَتْ عَنِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ
فَمَا يَكُونُ الْقُرْقُ يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ

بَيْنَ الرِّجَالِ وَبَغَالِ الْفَافِلَةِ؟ 10

لقد كانت غاية اليازجي من خلال توظيف هذه الآيات إرشاد الناس إلى اتخاذ العلم منهجا في الحياة، وطريقا لبلوغ الفلاح والصلاح، والتقرب إلى الله عز وجل، وذلك لما لمس فيه من تأثير في حياة الناس؛ إذ به تعقل العقول، وتهتدي النفوس، وبه يحرص الإنسان على اتباع طريق الخير بتبصر ومعرفة.

ويقول:

يا مَنْ يَرَى ما لا يُرى ولا يُرى وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى في الوَرَى
دَعَوْتُكَ اللَّهُمَّ إِذْ طَالَ السُّرَى وَمَالَتْ الْأَعْنَاقُ مِنْ حَمْرِ الكَرَى
يَسِّرْ لَنَا رِزْقاً مِنْ العَرْشِ جَرَى أَوْ فَاهِدِنَا لِبَابِ رِزْقٍ يُعْتَرَى
نَعُدُّ إِلَيْهِ مِثْلَ عَدُوِّ الشَّنْفَرَى 11

تتجلى وظيفة هذه الأبيات في الدعاء والتضرع إلى الله من أجل الحصول على الرزق؛ فاليازجي يتخذ من الشعر مطية في التعبير عن موضوع المقامة، وحث الناس على طلب الأرزاق من الخالق وحده.

ويقول:

إِنِّي لَقَدْ جَرَّبْتُ أَخْلَاقَ الوَرَى حَتَّى عَرَفْتُ ما بَدَأَ وما اخْتَفَى
كُلُّ يَدُومِ النَّاسِ، فَأَلْذِي نَجَا مِنْ ذِمَّةٍ يَدْخُلُ فِي ذِمِّ المَـسْـلَا
وَالْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى البُحْلِ إِذَا جَادَ فَجُودُهُ عَنِ العَرَضِ فَـدَى
يُرِيدُ أَنْ يَعْتَرِفَ البَحْرَ وَلَا يَتْرَكَ مِنْهُ فَطْرَةً تَزُوي الظِّمَاءَ
يَنْسَى مِنَ المُحْسِنِ طُوداً قَدْ رَسَا وَلَيْسَ يَنْسَى ذَرَّةً مِمَّنْ أَسَا
وَلَا يُحِبُّ غَيْرَ نَفْسِهِ فَمَا أَحَبَّهُ فَهُوَ إِلَى النَّفْسِ انْتَهَى
يَعْرِفُ كُلَّ حَالِهِ فِي ما مَضَى إِلَّا الَّذِي كَانَ دُنِيّاً فَارْتَضَى
وَكُلُّ عِلْمٍ يَدْرِكُ المُرْسَ سِوَى عِرْفَانٍ قَدَّرَ نَفْسِهِ كَمَا افْتَضَى
بِالعَقْلِ وَالدينِ لَهُ كُلُّ الرِّضَى أَمَّا بِمالِهِ وَجَاهِهِ فَلَا
وَكُلَّمَا عَقُلَ الفَتَى قَلَّ اكْتَفَى بِهِ كَمَا ظَنَّ فُسُورَ وَازْدَهَى
قَدْ طُبِعَ النَّاسُ عَلَى الظُّلْمِ! فَمَا سَلَّمَ أَمْرٌ لِامْرِئٍ إِلَّا بِغَى!
يُؤْذِي الجَهْلُ نَفْسَهُ، فَإِنْ جَنَى يَوْمًا عَلَيكَ لا يُلَامُ بالأذى
وَيَذْخُرُ الشَّيْخُ لِدهْرِ، وَيَـرَى بَعْيِيهِ المَوْتَ لَدَى البابِ اسْتَوَى
يُنَعَّمُ البَعْضُ بِمالٍ يُحْتَبَى وَبَعْضُهُمْ يَبْدُلُهُ فِي ما اشْتَهَى
مَنْ عَاشَ بِالتَّقْتِيرِ مِنْ دَوِي العِنَى فَإِنَّهُ أَفْقَرُ مِنْ فَوْقِ التَّـسْـرَى
كُلُّ يَعُدُّ نَفْسَهُ نِعَمَ الفِـتَى فَمَنْ هُوَ اللَّئِيمُ مِنا يا تَسْـرَى!
لَوْ عَرَفَ الإنسانُ عَيْبَهُ، لَمَّا رَأَيْتَ عَيْباً فِيهِ، ما طَالَ المَدَى

وَكُلُّ عَيْبٍ كَانَ مِنْ طَيِّ الْحَشَى
 لَا يَشْعُرُ الْجَاهِلُ بِالْجَهْلِ، كَمَا
 لَا يَعْرِفُ الصَّحِيحُ قِيمَةً لِمَا
 لَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْفَتَى إِلَّا مَتَى
 لَوْ كَانَ كُلُّ يَعْرِفُ الْحَقَّ سِوَى
 مَنْ قَالَ: لَا أَغْلِطُ فِي أَمْرٍ جَرَى
 وَقَلَّمَا أَبْصَرْتَ نِعْمَةً عَلَى
 وَقَلَّمَا كَانَ شُجَاعًا فِي اللَّيْقَا
 وَكُلُّ مَا فِي غَيْرِ مَثْوَاهُ ثَنَى
 وَكُلُّ مَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّبَعِ التَّوَى
 وَكُلُّ مَنْ تَاءَ دَلَالًا وَادَّعَى
 وَكُلُّ مَنْ شَابَ عَلَى خُلُقٍ فَلَا
 وَكُلُّ مَنْ لَا حَيْرَ مِنْهُ يَزْتَجِحُ
 فِي الْمَرْءِ، يَنْمُو فِيهِ كُلَّمَا نَشَا
 لَا يَشْعُرُ السَّكَرَانُ إِلَّا إِنْ صَحَا
 كَانَ مِنَ الصِّحَّةِ حَتَّى يُتَيَّلَى
 مَاتَ، فَيُعْطَى حَقَّهُ تَحْتَ الْبَلَى
 لَكَانَ كُلُّ النَّاسِ أَهْلًا لِلْقَضَا
 فَإِنَّهَا أَوَّلُ غَلْطَةٍ ثَرَى
 شَخْصٍ، وَلَا تَقُولُ: قَدْ ضَاعَتْ هُنَا
 إِلَّا عَزِيزَ النَّفْسِ وَالْجُودِ كَذَا
 يَسْمَعُ فِي الْعَيْنِ وَيُؤْذِي مَنْ رَأَى
 تُنْكِرُهُ النَّفْسُ وَلَوْ نَفَعًا جَنَى
 مُسْتَكْبِرًا، فَذَاكَ نَاقِصُ الْحَجَى
 تَنْصَحُهُ، فَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْهُدَى
 إِنْ عَاشَ أَوْ مَاتَ عَلَى حَدِّ سَوَا12

هذه القصيدة مليئة بالحكم والوصايا، أوردها اليازجي في سياق الوصية التي أوصى بها الخزامي غلامه؛ فوظيفة هذه الأبيات تتجلى في هداية الناس، وإرشادهم إلى الاقتداء والعمل بالحكم المتضمنة فيها، والتشبيث بالقيم والوصايا التي عرضت فيها.. كل هذه الحكم والقيم، التي تتضمنها القصيدة، ما هي إلا موعظة من اليازجي للناس، وحثهم على التشبع بالقيم الأخلاقية الحميدة، وهجر القيم الفاسدة التي تؤدي بصاحبها إلى فعل الشر، والوقوع في الخطيئة.

ويقول:

الحمدُ لله الصَّمَدُ
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 لَا أُمَّ لَهْ وَلَا
 أَوَّلُ كُلِّ أَوَّلٍ
 أَلْوَسِعُ الْأَلَاءِ وَالْ
 الْحَوْلُ وَالطُّوْلُ لَهُ
 حَالُ السُّرُورِ وَالْكَمَدِ
 اللَّهُ مَوْلَاكَ الْأَحَدِ
 وَالِدًا لَا وَلَا وَكَدِ
 أَصْلُ الْأُصُولِ وَالْعُمَدِ
 آرَاءِ عِلْمًا وَالْمَدَدِ
 لَا دِرْعَ إِلَّا مَا سَرَدِ

كُلُّ سِوَاهُ هَالِكٌ لَا عَدْدَ وَلَا عُدَدَ
صَاحِ ادْعُ مَوْلَاكَ لِمَا أَوْعَدَ وَاسْأَلْ مَا وَعَدَ
وَاصْدَعْ رِدَاءَ اللَّهْوِ وَالْ مَكْرٍ وَدَعْ سُوءَ اللَّدَدِ
وَاسِلُ الْمُدَامِ وَالْمَهْمَا وَارِمْ الْمِرَاءَ وَالْحَسَدَ
وَأَمْحُ رُسُومًا مَا لَهَا حُدٌّ وَلَا لَهَا عَدَدَ
وَسَامِحِ الْمَرْءِ سَهَا لَمَّا زَمَاكَ أُمَّ عَمَدَ
وَإِدْعُ هَوَاكَ كَارِهًا مَا وَدَّ وَاعْكُسْ مَا طَرَدَ
وَاعْلَمْ وَعَلِّمْ وَاطَّرِحْ أَحْكَامَ عَادٍ وَأُدَدَ
وَدُرْ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا دَارَ وَلَوْ طَالَ الْأَمَدَ
وَسِرْ مَعَ الرَّوْدِ وَدَعْ حَرَّ السَّمُومِ وَالْوَمَدَ
وَاعْدِدْ دَوَاءَ الدَّاءِ لِيَلِ دَهْرٍ وَأُحْجَالَ الرَّمَدِ
وَاسِلُ وُورَاءَ مَا طَرِ لِمَا طَلَّ وَلَوْ رَعَدَ
لِلْمَرْءِ سَهْمٌ مُرْسَلٌ وَهَمًّا وَكَمْ سَهْمٌ صَرَدَ
وَكَمَّ وَكَمْ حُلُوٌّ لَهُ مَرٌّ وَكَمْ وَاوٍ صَلَدَ
هُوْلُ الْجِمَامِ طَالِعٌ مَطْلَعُ رَوْعٍ كَالْأَسَدِ
كَأْسٌ لِكُلِّ دَوْرُهَا وَالْكُلُّ لِلْكَأْسِ وَرَدَ
وَكُلُّ عُمْرٍ كَالْكَلَا وَالْدَّهْرُ لِلْكُلِّ حَصَدَ
وَكَلُّ رَسْمٍ دَارِسٌ وَمَاهِدٍ وَمَا مَهَدَ
اللَّهُ أَهْلَ اللَّهِ، رَا عِ كَلِّ عَدْلٍ وَأَوَدَ
كُلُّ هَوَاةٍ عَامِلٌ وَاللَّهُ لِلْكُلِّ رَصَدٌ 13

إن الغاية من إيراد هذه القصيدة تكمن في الاعتراف بعظمة الله تعالى، وذكر صفاته الكثيرة. والكاتب بذلك يعطي لهذه الأشعار وظيفة وعظمية، سعى من خلالها إلى أن يوصي الناس بمجموعة من الوصايا، ومحاولة نصحهم بأمور كثيرة تخص أفعالهم وأقوالهم، وحثهم على التزام القيم النبيلة؛ من قبيل التسامح والمحبة والعلم والمودة، والنفور من القيم الدنيئة؛ مثل اللهو والمكر والحسد...
يقول:

قَدْ عَقَلَ النَّاسُ عَنِ الْيَقِينِ، وَأَخَذُوا بِالْوَهْمِ وَالظُّنُونِ!
 لَا يَذْكُرُونَ عَمْرَةَ الْمَنُونِ، وَمَوْقِفَ الْحِسَابِ يَوْمَ الدِّينِ
 وَهَوُولَ ذَلِكَ الْعَذَابِ الْهُونِ، يَلْهَوْنَ بِالْغَاذَةِ وَالْمَيْسُونِ
 وَبِالْجَزْوِرِ الْوَدِكِ السَّمِينِ، وَالرَّاحِ وَالْقَيْنَةَ وَالْقَانُونِ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهَضُوا فِي، وَاصْغُوا لِصُحِّ الْمُنْدِرِ الْمُبِينِ
 لَا تَشْتَرُوا دُنْيَاكُمْ بِالدِّينِ، وَلَا تُبَاهُوا بِالْحَمَا الْمَسْنُونِ!
 وَيُدْعُ كُلُّ خَاشِعٍ رَزِينِ، بِقَلْبِ عَبْدٍ خَاضِعٍ حَزِينِ
 يَا رَبِّ خُذْ مِنِّي بِالْيَمِينِ، وَآمَنْنُ بِرُوحِ الْقُدْسِ الْأَمِينِ

عَلَيَّ، وَأَقْبَلْ تَوْبَةَ الْمَسْكِينِ 14

أورد اليازجي هذه الأبيات الشعرية على لسان بطله ميمون ان خزام أثناء وقوفه على ضريح أبي العلاء المعري، وإلقاء خطبة على مسامع جموع من الناس، وهي تتضمن موعظة وإرشادا لهم بغية الفوز بالدار الآخرة، وهي دار البقاء والخلود، بدل الدنيا التي مآلها الفناء والزوال.

خاتمة:

هكذا نخلص، إلى أن مقامات اليازجي كانت غنية بالشعر؛ حيث لم تكاد تخلو مقامة واحدة من مقاماته من توظيف النصوص الشعرية التي هيمنت عليها وظيفتي التعليم والوعظ، وشكلتا حيزا كبيرا في مقابل الوظائف الأخرى، وهذا يدل على أن تلك التنقلات بين الأماكن العربية العديدة، كانت الغاية منها تعليمية نفعية؛ فمن خلال التوظيفات الشعرية، استطاع الأديب ناصيف اليازجي أن يقدم صورة للإنسان العربي ذي المعارف الواسعة، المحب للعلم والتعلم، والمقبل على فعل الخير والصلاح.

المصادر والمراجع :

. أدباء العرب في الأندلس والانبعث، بطرس البستاني، دار الجيل، لبنان، بيروت، 1997م.

. أربع مقامات في الشعر والشعراء، دراسة، دراسة تحليلية نقدية، عمر فارس الكفاوين، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، المجلد 12، العدد 01، أبريل 2021.

. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، بيروت، لبنان.

- . شرح ألفية ابن مالك لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1434 هـ.
- . كتاب " الشيخ ناصيف اليازجي " لعيسى ميخائيل سابا، دار المعارف، بيروت، 1954، ط3.
- . مجمع البحرين، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، لبنان بيروت، 1973م.

الهوامش

- 1- جاء في كتاب " تاريخ الأدب العربي " لحنا الفاخوري، أنه: "نشأ ناصيف اليازجي محبا للأدب واللغة ونظم الشعر، يدرس اللغة ويتصفح كتب النحو والصرف بنفسه، ويتنقل بين دواوين الأشعار، حتى أنه نظم الشعر وهو صغير".
2. أنظر كتاب " الشيخ ناصيف اليازجي " لعيسى ميخائيل سابا، دار المعارف، بيروت، 1954، ط3، ص 22.
3. أدباء العرب في الأندلس والانبعاث، بطرس البستاني، دار الجيل، لبنان، بيروت، 1997م، ص 233.
4. مجمع البحرين، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، لبنان بيروت، 1973م، ص ص 54-55.
- 5- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص 11.
- 6- نفسه، ص ص 13-14.
7. مجمع البحرين، مرجع سابق، ص 59.
- 8- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 176-177.
- 9- نفسه، ص 21.
- 10- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص 59.
- 11- نفسه، ص ص 77-78.
- 12- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 107-109.
- 13- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 89-90.
- 14- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 149-150.

Références :

- Saba p. M. . (1954). Sheikh Nassif Yazigi. Beirut: Dar Al Maarif.
- Al-Othaimen m. B. s. . (1434). explain Alfi of Malik son. Riyadh: Sheikh Mohammed bin Saleh Al-Othaimen Charitable Foundation.
- Al Kafaween A. F. . (2021). Four stations in poetry and poets, a critical analytical study. Journal of Arts and Social Sciences, 12(1).
- Yazigi N. (1973). Bahrain Complex. Lebanon: Dar Sader Beirut.
- Al-Fakhoury H. (1953). History of Arabic literature. Beirut: Police Press.
- gardener b. (1997). Arab writers in Andalusia and rebirth. Beirut: Dar Al-Jeel.